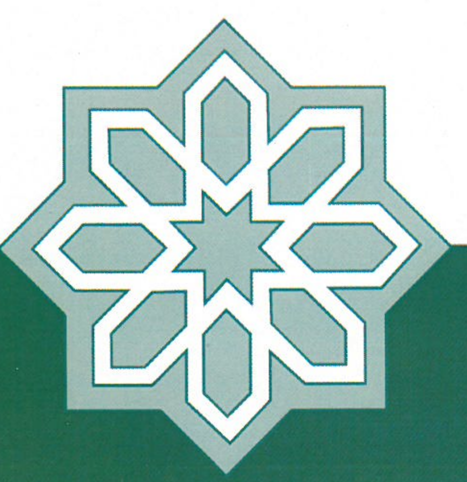
سعيد إبراهيم كريدية

ماذا نعرف عن
تتار القرم



دار الرشاد الإسلامية

ماذا نعرف عن تتار القرم

بقلم

سعيد إبراهيم كريديه

الطبعة الثانية

2009

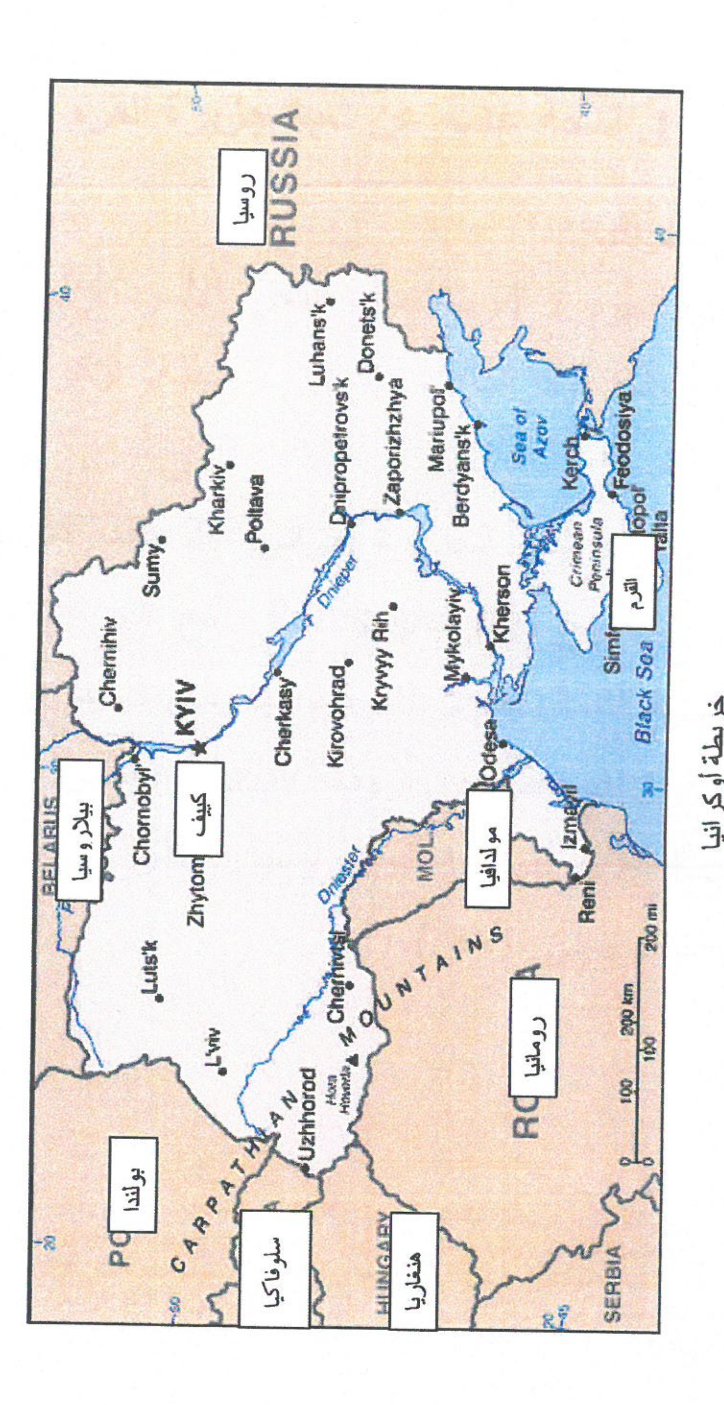
توزيع
دار الرشاد
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

ماذا نعرف عن تتار القرم؟ سؤالٌ من جملة الأسئلة الحرجة التي نعرف أجوبتها مسبقاً، الجواب وبكل أسف: "لا شيء". لقد أضحى الجهل ببعضنا كمسلمين من الأمور الشائعة والمُسَلّم بها وخاصة إذا انشغل كل منا في محنةٍ مع عدوٍ ظالم أو معتدٍ غاشم، وما أكثر الأعداء والمعتدين.

تتار القرم شعبٌ مسلمٌ تعرض لأبشع أنواع التعذيب والتهجير على يد القياصرة الروس ومن بعدهم السوفيات الشيوعيين، وكاد يفقد هويته الإسلامية التي طالما اعتز بها لولا غيرة وحماس البقية الصامدة منه. فبعد سقوط الشيوعية في الكرملين هب العديد من أفراده يعوض ما



خريطة أوكرانيا

فات الأمة من علوم القرآن والحديث والفقه والسير النبوية ولجأ إلى القلم والكتاب والحاسوب في وطنه وفي الخارج يشبع روحه من نِعَم الدين الحنيف التي حاولت أن تطمسته عقود من الكفر والإلحاد.

عُرف تتار القرم بهذا الاسم لاستقرارهم في شبه جزيرة القرم منذ القرن الثالث عشر الميلادي حيث أسسوا هناك دولة في القرن الخامس عشر امتد حكمها حتى عام 1783 حين ضمت روسيا شبه الجزيرة إلى ممتلكاتها من هم تتار القرم؟ وما هي المِحَن التي واجهتهم؟ وما هو وضعهم بعد سقوط الشيوعية؟ المصادر الإسلامية والعربية التي تجيب على هذه الأسئلة نادرة وقليلة، فكان لا مناص من اللجوء إلى المراجع الغربية لتقديم عرض تاريخي لهذا الشعب لعل في ذلك مساهمة ولو متواضعة في التعريف به وبماضيه وحاضره.

ولكن قبل البدء في ذلك لا بد من إعطاء لمحة سريعة وموجزة عن شبه جزيرة القرم.

1. لمحة عامة عن شبه جزيرة القرم

1.1 الجغرافيا:

تقع شبه جزيرة القرم شمال البحر الأسود وهي تابعة حالياً لدولة أوكرانيا[1]. (أنظر خريطة أوكرانيا في الأعلى).

تبلغ مساحة شبه الجزيرة حوالي 27 ألف كلم مربع ويربطها برزخ بركوبPerekop مع البر الأوكراني من ناحية الشمال بطول 30 كلم وبعرض 8 كلم فقط. أما من الشرق فيحدها بحر آزوف Azov ومضيق كيرتش Kerch الذي يفصلها عن روسيا (أنظر خريطة شبه جزيرة القرم في الأسفل).

---

[1] أوكرانيا هي إحدى جمهوريات الإتحاد السوفياتي السابق اذ انفصلت عنه عام 1991، تقع في شرق أوروبا ويحدها من الشرق روسيا و من الشمال بيلاروسيا و من الغرب كل من بولندا و سلوفاكيا و هنغاريا و ورمانيا و مولدافيا، و من الجنوب بحري آزوف و الأسود. عدد سكان أوكرانيا حوالي 46 مليون نسمة معظمهم من الارثوذكس وينتمون على العرق السلافي، واللغة الرسمية هي الأوكرانية القريبة من اللغة الروسية . عاصمة البلاد مدينة كييف (راجع الخريطة).


Microsoft MapPoint
Mykolayiv
Kakhovka
Veselove
ZAPORIZHZHYA
Melitopol'
Primorsk
Berdyans'k
Ochakiv
Kherson
أوكرانيا
Askaniya-Nova
Novotroitskoye
KHERSON
برزخ بركوب
Genichesk
Skadovsk
Armyansk
بحر أزوف
46°
Krasnoperekopsk
Razdol'noye
Dzhankoy
اسكى قرم
مضيق كرش
Chernomorskoye
CRIMEA
Olenevka
Nizhnegorskiy
Sovetskiy
Kerch
Temryuk
إيفباتوريا
Lenino
Yevpatoriya
Saki
Belogorsk
RUS
روسيا
Staryy Krym
Feodosiya
بخشته سراي
Simferopol'
Bakhchisaray
فيودوسيا
Anapa
Sevastopol'
Alushta
سمفروبول
Balaklava
Yalta
البحر الأسود
يالطا
سفاستوبول
44°

تغطي السهول أكثر من ثلثي شبه الجزيرة وتقع بشكل أساسي في الشمال والوسط، أما في الجنوب فتمتد سلسلة جبال تنحدر بشكلٍ حاد نحو البحر الأسود. المناخ معتدل نسبياً و في جنوبها يتشابه مع مناخ البحر الأبيض المتوسط.

أهم المدن[1]: "سيمفروبول "Simferopol (بلغ عدد سكانها عام 2005 حوالي 341,599 نسمة)[2] وهي العاصمة الإقليمية لشبه الجزيرة وتعرف باسم "آق مسجد Ak Mesjid"باللغة التترية، ومدينة "سفاستوبول "Sevastopol أو "آقيار Akyar" بالتترية (بلغ عدد سكانها عام 2005 حوالي 340,353 نسمة)[3] وهي ميناء حربي هام جداً. أما مدينتي "يالطا" (بلغ عدد

---

1 راجع خريطة شبه الجزيرة.

2 "Ukraine", **http://www.citypopulation.de/Ukraine.html#Stadt_gross,** 23/6/2006.

3 المصدر السابق.

سكانها عام 2005 حوالي 80,140 نسمة)[1] و "إفباتوريا Evpatoria" أو "غوزليفGozlev" بالتترية (بلغ عدد سكانها عام 2005 حوالي 106,250 نسمة)[2] فهما من أهم المراكز السياحية على البحر الأسود. أما مدينة "فيودوسيا Feodosiya" التي تقع في شرق شبه الجزيرة وتدعى أيضاً "كفا" فهي ميناء حيوي على البحر الأسود ومحطة هامة لسكك الحديدية (بلغ عدد سكانها عام 2005 حوالي 106,250 نسمة)[3]. ولا يفوتنا أن نذكر مدينة "بخشه سراي Bakhchesaray" العاصمة القديمة لتتار القرم وتعني بالعربية "قصر الحدائق" ويسكنها الآن حوالي 30,000 نسمة فقط.[4]

---

1 المصدر السابق.
2 المصدر السابق.
3 المصدر السابق.
4 "UkrTravel", **http://www.ukrtravel.com/bakhchisaray/main.htm,** 23/6/2005.

1.1.4 السكان : لا يوجد إحصاء دقيق عن عدد سكان شبه جزيرة القرم وتوزيع قومياتهم وأديانهم، إلا أن "مركز أبحاث تركستان وآذربيجان و القرم و القوقاز و سيبيريا (SOTA)"[1] يفيد أنه بلغ عدد سكان شبه الجزيرة حسب إحصاء عام 1991 حوالي 2,550,000 نسمة، 65% منهم روس و 22% أوكرانيين و 10% فقط من التتار والباقي يتوزع بين أرمن و بيلاروس و يونان و ألمان ويهود.[2] ومن ناحية أخرى يذكر مرجع بريطاني أنه بلغ عدد سكان شبه جزيرة القرم في الأول من تموز من عام 2007 حوالي 1,974,181 نسمة بالإضافة إلى 378,970 نسمة يقومون في العاصمة الاقليمة مدينة سيفاستبول،[3] أما نسبة

[1] يتواجد هذا المركز في مدينة هارلم بهولندا و هدفه تعريف العالم الغربي بتاريخ و حضارة و لغات شعوب الاتحاد السوفياتي السابق.

[2] SOTA. "The Crimea"., **www.euronet.nl/users/sota/krimgeo.html,** 6/2/2001

[3] هو:

Eastern Europe, Russia and Central Asia, 2008, 8rd ed. London: Routledge , 2007, p.575.

توزيع السكان حسب القوميات طبقاً للاحصاء الرسمي لعام 2001 فهي كالآتي: 58% روس، 24% أوكرانيين و 12% تتار.[1]

1.2 الاقتصاد:

تعيش الحالة الاقتصادية الحالية للقرم أزمة حقيقية نتيجة ضعف الإنتاج والتضخم وارتفاع البطالة مما أدى إلى تدهور دخل الفرد لدى قطاع كبير من سكان القرم. وحسب دراسة قامت بها لجنة البرلمان الأوروبي عام 2000 فإن نسبة البطالة لدى تتار القرم هي 60% (حوالي ضعف نسبة البطالة في كل شبه جزيرة القرم) و 50% منهم فقط ينعمون بمساكن لائقة؛ و تضيف هذه الدراسة أنه من أصل 291 مستوطنة تترية في شبه الجزيرة هناك 25% منها بدون كهرباء و 70% من دون ماء و 90% بلا طرق معبدة و 96% لا

[1] "All Ukrainian Population Census 2001", **www.ukrcensus.gov.ua/eng/results/general/nationality/**, 2/2/2007.

1.1.4 السكان : لا يوجد إحصاء دقيق عن عدد سكان شبه جزيرة القرم وتوزيع قومياتهم وأديانهم، إلا أن "مركز أبحاث تركستان وآذربيجان و القرم و القوقاز و سيبيريا (SOTA)"[1] يفيد أنه بلغ عدد سكان شبه الجزيرة حسب إحصاء عام 1991 حوالي 2,550,000 نسمة، 65% منهم روس و 22% أوكرانيين و 10% فقط من التتار والباقي يتوزع بين أرمن و بيلاروس و يونان و ألمان ويهود.[2] ومن ناحية أخرى يذكر مرجع بريطاني أنه بلغ عدد سكان شبه جزيرة القرم في الأول من تموز من عام 2007 حوالي 1,974,181 نسمة بالإضافة إلى 378,970 نسمة يقومون في العاصمة الاقليمة مدينة سيفاستبول،[3] أما نسبة

---

[1] يتواجد هذا المركز في مدينة هارلم بهولندا و هدفه تعريف العالم الغربي بتاريخ و حضارة و لغات شعوب الاتحاد السوفياتي السابق.

[2] SOTA. "The Crimea"., **www.euronet.nl/users/sota/krimgeo.html,** 6/2/2001

[3] هو:

Eastern Europe, Russia and Central Asia, 2008, 8rd ed. London: Routledge , 2007, p.575.

توزيع السكان حسب القوميات طبقاً للاحصاء الرسمي لعام 2001 فهي كالآتي: 58% روس، 24% أوكرانيين و 12% تتار.[1]

1.2 الاقتصاد:

تعيش الحالة الاقتصادية الحالية للقرم أزمة حقيقية نتيجة ضعف الإنتاج والتضخم وارتفاع البطالة مما أدى إلى تدهور دخل الفرد لدى قطاع كبير من سكان القرم. وحسب دراسة قامت بها لجنة البرلمان الأوروبي عام 2000 فإن نسبة البطالة لدى تتار القرم هي 60% (حوالي ضعف نسبة البطالة في كل شبه جزيرة القرم) و 50% منهم فقط ينعمون بمساكن لائقة؛ و تضيف هذه الدراسة أنه من أصل 291 مستوطنة تترية في شبه الجزيرة هناك 25% منها بدون كهرباء و 70% من دون ماء و 90% بلا طرق معبدة و 96% لا

---

[1] "All Ukrainian Population Census 2001", www.ukrcensus.gov.ua/eng/results/general/nationality/, 2/2/2007.

يصلها الغاز وجميعها لا تحوي على مصارف صحية.[1] يعتبر قطاعي السياحة والزراعة من أهم القطاعات الاقتصادية تطوراً في القرم ويعمل في قطاع السياحة ما يقارب 30 % من السكان كما يوجد في القرم حوالي 636 مؤسسة سياحية (مخيمات للأطفال، فنادق، أماكن للراحة العلاجية)، أما عدد المؤسسات الزراعية فيبلغ 377. أهم المحاصيل الزراعية : القمح والقطن والتبغ والفواكه، ومن الناحية الصناعية تعتبر الصناعات الكيميائية، الغذائية، النفط، الغاز، الصناعات الخفيفة وصناعة المعدات الزراعية من أهم القطاعات الصناعية في شبه جزيرة القرم.[2] وهناك صناعة التعدين في منطقة "كيرتش" في الشرق حيث توجد كميات كبيرة من الحديد

[1] International Committee for Crimea, "Crimean Tatars and the Ukrainian state",
http:// www.iccrimea.org/scholarly/oshevel.html 24/5/2006.

[2] اتحاد المنظمات الاجتماعية في أوكرانيا (الرائد)، " دراسات: مسلمي القرم"، **http://www.arraid.org/index.php?r=9&s=3&lang=ar** ، 2006/6/23.

الخام،[1] كما تتواجد كميات من احتياطي النفط والغاز الطبيعي في المناطق المحاذية لبحري الأسود و آزوف. أما النسبة المئوية من حجم الإنتاج فهي كالآتي:

39,9 % الصناعة الغذائية

17,1 % الصناعات الكيميائية – النفطية

11,1 % صناعة السيارات والحديد

10,2 % الصناعة النفطية

4.9 % الطاقة الكهربائية

1,1 % الصناعات الخفيفة

2,7 % الصناعات الحديدية

[1] SOTA. "The Crimea"., **www.euronet.nl/users/sota/krimgeo.html**, 6/2/2001

ويعمل في القرم ما يقارب 890 مؤسسة بناء حسب إحصائيات 1998م. [1]

1.3 الوضع السياسي الحالي

شبه جزيرة القرم اليوم جمهورية تابعة لدولة أوكرانيا وتتمتع باستقلال ذاتي يكفل لها إجراء الاستفتاءات الشعبية والتصرف بالميزانية الممنوحة من الحكومة المركزية في العاصمة كييف Kiev والاهتمام باللغات والثقافات المحلية والمساهمة في تطوير برامج عودة المبعدين الذين هُجروا خلال العهد السوفياتي.[2]

---

1 اتحاد المنظمات الاجتماعية في أوكرانيا (الرائد)، " دراسات: مسلمي القرم"، **http://www.arraid.org/index.php?r=9&s=3&lang=ar** ، 2006/6/23.

2 **The Europa World Yearbook 2005**. 46th ed., London: Europa Publications, 2005, v.2. pp. 4408-4409.

ويتركز اهتمام تتار القرم اليوم حول ثلاث مطالب قانونية[1]:

أولا، الاعتراف بهم كمجموعة محلية ووطينية في شبه الجزيرة وليس كأقلية قومية،

ثانياً، إعتبار عملية الابعاد التي جرة عام 1944 عمل إبادي،

ثالثاً، إصدار تشريعات لتحسين أوضاعهم.

ومن جهة أخرى تعتر شبه جزيرة القرم مركزاً لاعاقة أي تقارب او اتفاق بين أوكرانيا من جهة و الولايات المتحدة وحلف شمال الاطلسي من جهة أخرى[2] حيث احتج متظاهرون عام 2006 على زيارة قام بها المارينز لمرفأ "فيدوسيا" للقيام بتمارين عسكرية مشتركة بين أوكرانيا وحلف شمال الأطلسي.

---

1 **Eastern Europe, Russia and Central Asia, 2008**, p.541.

2 المصدر السابق ص 541.

2. أصل تتار القرم

استُعمِلت كلمتي "تتار" و "مغول" خلال القرون الوسطى بشكلٍ اعتباطي وغير دقيق حيث أحيلت كل منهما إلى الأخرى للدلالة على الشعوب الآسيوية القاطنة في شرق ووسط آسيا.[1] وقد أُطلق اسم "التتار" على عدة قبائل بدوية من الشعوب التركية تسكن شمال جبال آسيا الوسطى وتشمل أنحاء من سيبيريا وتركستان وبعض المناطق المجاورة لشمال الصين والتي تختلف حياتها عن حياة الشعوب المستقرة في الصين وهذه القبائل تشمل "الكبشاك" و "البشنغ" و "الخزر".[2] واسم "تتار" مشتق من كلمة "تاتا" التي أطلقها الصينيون في العصور الوسطى على أحد

---

1 لمزيد من المعلومات عن هذا الإلتباس بين الاسمين راجع:
Barthold, W, "Tatar", **The encyclopaedia of Islam : a dictionary of biography of the Muhammadan the geography, ethnography peoples**, ed. by M.Th. Houtsma ... [et al.], Leiden, The Netherlands : E.J. Brill, 1927-1934, v.8, pp. 701.

2 عطية الله، أحمد، **القاموس الإسلامي**، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1963، مج 1، ص 440.

القبائل المغولية التي سكنت في القرن الخامس الميلادي شمال شرق ما يسمى اليوم بدولة منغوليا،[1] وكانت هذه القبيلة من أوائل المحاربين الذين اشتركوا في غزوات جنكيز خان واتسع مدلول هذا الاسم فشمل المغول أنفسهم.[2] وهكذا فأن أن أصل تتار القرم يعود إلى الشعوب التركية في شرق ووسط آسيا والتي انخرطت في جحافل القائد المغولي جنكيز خان[3] خلال زحفه على آسيا و أوروبا في القرن الثالث عشر الميلادي.

---

1 "Tatars", HighBean Encyclopedia, **http://www.encylopedia.com/html/t/tatars.asp**, 13/7/2006.

2 عطية الله، مج 1، ص 440.

3 - "خان" تعني "حاكم" باللغة التترية.

3. اعتناق تتار القرم الإسلام

وفي أواسط القرن الثالث عشر الميلادي أنشأ "باتو خان" أحد أحفاد جنكيز خان إمبراطورية واسعة عُرفت باسم "القبيلة الذهبية" امتدت من تخوم الصين الغربية والشمالية حتى أوروبا الشرقية وروسيا مروراً بشبه جزيرة القرم التي انتزعتها عام 1239 من البيزنطيين،[1] وقد اتخذ باتو خان مدينة "سراي"[2] عاصمة له، ودُعيت هذه الإمبراطورية بهذا الاسم لأن خيام معسكراتهم كانت ذات لون ذهبي.[3]

[1] Spuler, B. "Kirim". **Encylopedia of Islam**. Leiden: E. J. Brill, 1986, v.5, p.136.

[2] - من الأرجح أنها كانت تقع على الحوض السفلي لنهر الفولغا على بعد 120 كلم شمال مدينة أستراخان.

[3] - محمود، شفيق جاسر أحمد، "محاولات التحالف بين المغول و الصليبيين ضد المسلمين في القرنين السابع و الثامن الهجريين و آثارها"، **http://www.iu.edu.sa/Magazine/75-76/3.doc**، 6/2/2001

اعتنق تتار القبيلة الذهبية ديانات متعددة من أبرزها الشامانية (وهي ديانة بدائية انتشرت في آسيا الوسطى) بالإضافة إلى انتشار اليهودية والمسيحية والبوذية والطاوية الصينية فيما بينهم. وفي عهد بركه خان (1257–1267)، الذي اعتنق الدين الإسلامي على يد أحد التجار، بدأ الإسلام يتغلغل إلى مناطق القبيلة الذهبية[1] حتى أصبح الدين الرسمي في هذه الإمبراطورية في مطلع القرن الرابع عشر.[2] وفي عام 1287 شهدت شبه جزيرة القرم إنشاء أول مسجد فيها وذلك في مدينه سلخاتSolkhat (وتدعى أيضاً "ستاري قرم" أو "إسكي قرم" Eski Kirim أي القرم القديمة)[3] برعاية سلطان مصر المملوكي

[1] Paskoy, H. B. *Crimean Tatars*, **www.euronet.nl/users/sota/Paskoy14.html** , 6/2/2001.

[2] "Golden Horde, Empire of the", **The Columbia Encyclopedia**, Sixth Edition, 2001-05, **http://www.bartelby.net/65/go/GoldenHE.html,** 26/6.2006.

[3] لمعرفة موقع هذه المدينة راجع الخريطة في مقدمة الكتاب.

بيبرس،[1] مع العلم أن الجنويين (نسبةً إلى مدينة جنوا في إيطاليا) الكاثوليك بدؤوا بالوصول إلى شبه جزيرة القرم ابتداء من عام 1261 وشرعوا في تأسيس مستعمرات في جنوبها. لكن الدين الحنيف لم ينتشر بشكل واسع بين تتار القرم إلا بعد تبوأ "أوزبك" خان الذي حكم القبيلة الذهبية بين عامي 1313 و 1340[2] والذي بنا مسجد ثاني في شبه الجزيرة، ففي عهده تأصل الوجود الإسلامي السني الحنفي المذهب في نفوس التتار بما فيهم تتار شبه جزيرة القرم التي شهدت موجات من التأثير الإسلامي الآتي من مصر المملوكية[3].

[1] Fisher, Alan. "Crimean Khanate". **The Oxford Encyclopedia of the Modern Islamic World**. John L. Esposito, editor in Chief . New York: Oxford University Press, 1995, v.1, p. 328.

[2] Paskoy, H. B. *Crimean Tatars*, **www.euronet.nl/users/sota/Paskoy14.html** , 6/2/2001.

[3] Spuler, B., v.5, p.136.

وقد زار الرحالة المسلم ابن بطوطة هذه البلاد في تلك الفترة فقال عن أوزبك خان: "واسمه محمد أوزبك ومعنى خان عندهم السلطان و هذا السلطان عظيم المملكة شديد القوة كبير الشأن رفيع المكان قاهر لأعداء الله أهل القسطنطينية العظمى مجتهد في جهادهم، وبلادهم متسعة ومدنه عظيمة منها الكفا[1] والقرم[2]... وهو [أي السلطان] أحد الملوك السبعة الذين هم كبراء الدنيا و عظماؤها وهم مولانا أمير المؤمنين ... وسلطان مصر والشام وسلطان العراق و السلطان أوزبك هذا وسلطان بلاد تركستان وما وراء النهر و سلطان الهند و سلطان الصين."[3]

وفي وصفه لمدن شبه جزيرة القـرم يقـول:"... وصلنا إلى مدينة الكفـا وهـي مدينـة عظيمـة

[1] تسمى اليوم "فيودوسيا Feodosiya" و تقع في شرق شبه الجزيرة (راجع الخريطة في مقدمة الكتاب).

[2] يقصد مدينة "اسكي قرم". (راجع الخريطة في مقدمة الكتاب).

[3] **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار.** القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، 1938. مج 1، ص: 212-213.

مستطيلة على ضفة البحر يسكنها النصارى وأكثرهم الجنوييون... ونزلنا منها بمسجد المسلمين. ولما نزلنا بهذا المسجد أقمنا به ساعة ... وطفنا بالمدينة فرأيناها حسنة إلا الأسواق وكلهم كفار ونزلنا إلى مرسا[ها] فرأينا مرسا عجيباً به نحو مائتي مركب ما بين حربي وسفري صغيراً وكبيراً وهو من مراسي الدنيا الشهيرة، ثم اكترينا [أي استأجرنا] عجلة وسافرنا إلى مدينة القرم وهي مدينة كبيرة حسنة من بلاد السلطان المعظم محمد أوزبك خان وعليها أمير من قِبله اسمه تلكتمور ... ولقيت بهذه المدينة قاضيها الأعظم شمس الدين السائل قاضي الحنفية ولقيت بها قاضي الشافعية وهو يسمى بخضر ... والشيخ الحكيم الصالح مظفر الدين وكان من الروم فأسلم وحسن إسلامه".[1]

---

[1] المصدر السابق، ص: 206-207.

4. شبه جزيرة القرم خلال فترة حكم القبيلة الذهبية

عين حُكام القبيلة الذهبية مُمَثّلاً لهم في شبه جزيرة القرم دُعِيَ بحاكم أو والي وقد احتفظ هذا الممثل بعلاقاته الدبلوماسية مع المماليك في مصر، وكان للقبيلة الذهبية جيش مرابط في شبه الجزيرة يدير شؤونه أمير.

ظلت شبه جزيرة القرم حتى أواسط القرن الخامس عشر الميلادي قليلة السكان باستثناء المناطق الساحلية لكنها بقيت مركزاً تجارياً هاماً مع مصر المملوكية من خلال وسطاء بيزنطيين، فكانت العطور والأقمشة تأتي من وادي النيل ثم ترسل إلى مناطق مجرى نهر "الفولغا

"Volga"[1]. كما ازدهرت أيضاً التجارة مع المستعمرات الجنويية في شبه الجزيرة ومع الأناضول و أوروبا الوسطى وصولاً إلى لفوف Lvov (التابعة لأوكرانيا الآن) وبرسلاو Breslau (Wroclaw) (التابعة اليوم لبولندا). وقد ساعدت هذه الصلات التجارية في جعل شبه جزيرة القرم مخزناً لبضائع التجار السلاجقة و المصريين والجنويين مما ولّد تفاعلاً حضارياً مع تلك الشعوب تجلى في العمارة الإسلامية وصناعة الآنية الخزفية. وبالإضافة إلى التجارة، اشتغل تتار القرم في تلك الحقبة بالدباغة واستخراج الملح والعسل وزراعة العنب وتربية الخيول.[2]

عانت القبيلة الذهبية منذ عام 1359 من حروب أهلية فتمكن أمراء مغول من سلالة جنكيز خان

---

[1] يقع هذا النهر في روسيا و هو أطول أنهر أوروبا طوله 3700 كلم، ينبع من تلال "فالدي" على بعد 320 كلم حنوب شرفي بطرسبرع (سانت بيترسبرغ) و يصب في بحر قزرين.

[2] Spuler, pp. 136-137.

من الاستيطان في شبه جزيرة القرم، وفي عام 1419 استطاع أحد هؤلاء الأمراء ويدعى غياث الدين المنتمي إلى قبيلة " كري" أن يستولي على الحكم في شبه الجزيرة ويقضي على منافسيه فيها. وطبقاً للتقاليد المحلية المتبعة هناك أطلق هذا الأخير اسم قبيلته على مولوده فدعاه "حاجي كري" وتحرَّف اسم الأسرة بعد ذلك إلى "غيراي" Giray وبات اسمه حاجي غيراي.[1]

---

[1] Inalcik, Halil, "Giray", **Encyclopaedia of Islam**, new edition Leiden: E.J. Brill, 1965, v.2, p. 1112.

5. شبه جزيرة القرم في عهد أسرة "غيراي"

نتيجةً لتسرب الضعف والتفسخ في القبيلة الذهبية تمكن حاجي غيراي في آب عام 1449 من الخروج عن سيطرة القبيلة الذهبية وإعلان استقلال شبه جزيرة القرم عرفت باسم "خانية القرم"، وبمساعدة العثمانيين ومملكة بولندا-لتوانيا استطاع الخان "حاجي غيراي" من أن يُثبت دعائم دولته من عاصمته في اسكي قرم،[1] كما أقام عام 1454 تحالفاً مع السلطان العثماني محمد الثاني دام حتى مع الخانات الذين أتوا من بعده.[2] توفي حاجي غيراي عام 1466 ونشأ صراعٌ على السلطة بين أولاده، إلا أن ولده "منغلي غيراي Mengli Giray" استطاع الاستئثار بالسلطة لعدة شهور فقط استلم الحكم بعدها أخوه "نور دولت"،

[1] Spuler, v.5, p. 137.
[2] Inalcik, "Giray", **Encyclopedia of Islam**, v.2, p. 1112.
v.2. p. 1112.

لكن منغلي غيراي تمكن من الوصول السلطة مرة أخرى بين الفترة الممتدة من عام 1468 إلى عام 1475 لجأ بعدها إلى مدينة كفا هرباً من أخيه "نور دولت".[1] دام الاستقلال التام لشبه جزيرة القرم حتى عام 1475 حين طلب تتار القرم المساعدة العسكرية من السلطان العثماني محمد الفاتح لمواجهة الجنويين المتمركزين في جنوب شبه الجزيرة بما فيها مدينة كفا، فلبى العثمانيون نداء "الأخ" المسلم و احتلوا قلاع "العدو" النصراني وألقوا القبض على منغلي غيراي تلبيةً لرغبة الطبقة الحاكمة في شبه الجزيرة، لكن في عام 1478 أطلق العثمانيون سراحه بناءً لاتفاق بين هذه الطبقة والسلطان محمود الثاني[2] ونصّبوا منغلي غيراي حاكماً اسمياً يعترف بسيادة

[1] Kellner-Heinkele, B, "Mengli Giray I", **Encyclopaedia of Islam,** new edition Leiden: E.J. Brill, 1991, v.6, p. 1016.
[2] "The Tatar Khanate of Crimea", **http://www.allempires.com/article/index.php?q=The_Crimean_Khanate,** 23/8/2006.

وسلطة السلطان على الأراضي التابعة لأسرة غيراي ومن بينها شبه الجزيرة[1] وعلى السياسة الخارجية وعلى صلاحية تعيين رجال الدين المسلمين في شبه الجزيرة مقابل التزام منغلي غيراي بالمشاركة في الحملات العسكرية العثمانية[2] و إبقاء الحكم وراثياً لآل غيراي.[3] وبالفعل اشترك الخان منغلي غيراي في حملات السلطان بايزيد الثاني في مولدافيا[4] عام 1484 فكافأه العثمانيون بأراضٍ على ضفاف نهري "دنيبر Dnieper" و "دنيستر Dniester"[5] شمال شبه جزيرة القرم. وقد استمرت مشاركة تتار القرم في حروب الدولة العثمانية حتى مع خلفاء منغلي غيراي أيضاً، ففي عام 1538 ساندوا

1 Inalcik, "Giray", **Encyclopedia of Islam**, v.2, p. 1112.
v.2. p. 1112.
2 "The Tatar Khanate of Crimea",
http://www.allempires.com/article/index.php?q=The_Crimean_Khanate, 23/8/2006.
3 Spuler, v.5, p. 137.
4 مولدافيا جمهورية مستقلة كانت تابعة للإتحاد السوفياتي السابق تقع بين أوكرانيا و رومانيا.
5 Kellner-Heinkele, B, v.6, p. 1016.

السلطان العثماني في مولدافيا وفي عام 1543 دخلوا لأول مرة مع العثمانيين إلى هنغاريا.[1] وجدير بالذكر أنه لم يكتف العثمانيون بإجبار خان القرم بالمشاركة في حروبهم فقط بل ضموا جنوب شبه الجزيرة إلى الدولة العثمانية وأسسوا في عهد الخان محمد غيراي الثاني (1577-1584) "إيالة[2] كفا" عام 1581 التي خضعت مباشرةً لحكم الباب العالي في استانبول.ورغم هذه الحماية العثمانية على شبه الجزيرة تمكن الخان منغلي غيراي من التفاهم مع حاكم موسكو الأمير إيفان الثالث Ivan III فاستفاد الأخير من ذلك في حربه ضد مملكة بولندا-لتوانيا بينما جيّر الخان ذلك لمحاربة القبيلة الذهبية.

1 Spuler, v.5, p. 137.
2 الإيالة هي وحدة إدارية في الدولة العثمانية.

وكانت القبيلة الذهبية قد بدأت منذ النصف الأول للقرن الخامس عشر بالتفسخ والتفكك إلى عدة دول منها: دولة نوغاي[1] و خانية قازان[2] وخانية القرم وخانية سيبريا وخانية أستراخان[3].

وفي حزيران من عام 1502 هزم منغلي غيراي ما تبقى من الإمبراطورية القبيلة الذهبية في موقعٍ شرق مدينة كييف وسيطر على عاصمتها مدينة سراي[4] وأعلن نفسه وريث خان تلك الإمبراطورية بعد أن هرب الأخير إلى لتوانيا، كما أخذ منغلي غيراي على عاتقه الحفاظ على

1 أنشأ هذه الدولة الخان "أديغو" (توفي عام 1419)، و قد امتدت هذه الدولة من غرب سيبريا حتى القوقاز و كانت عاصمتها مدينة "سرايجك" التي تقع شمال بحر قزوين.

2 تقع مدينة قازان على نهر الفولغا على بعد 720 كلم شرق موسكو، و هي اليوم عاصمة جمهورية تتارستان التي تشكل جزءاً من روسيا الإتحادية.

3 تقع مدينة أستراخان في دلتا نهر الفولغا على بحر قزوين على بعد 1290 كلم جنوب شرق موسكو، ويذكرها ابن بطوطة في كتابه المشار إليه آنفاً صفحة 220 بإسم (ترخان) فيقول: "فوصلنا إلى مدينة ترخان و معنى ترخان الموضع المحرر من المغارم، و المنسوب إليه هذه المدينة هو حاج من الصالحين تركي نزل بموضعها و حرر له السلطان ذلك الموضع فصارت قرية ثم عظمت و تمدنت و هي من أحسن المدن" .

4 من الأرجح أنها كانت تقع على الحوض السفلي لنهر الفولغا على بعد 120 كلم شمال مدينة أستراخان.

أمن كل من خانتي قازان واستراخان مما وضعة في مواجهةٍ مع موسكو. [1]

وصلت الحياة الفكرية في شبه جزيرة القرم خلال عهد منغلي غيراي إلى أوجها من ناحية الازدهار والتطور، فأقيمت الحلقات الأدبية وفُتِحت البلاد أمام الحضارة الإسلامية والعثمانية وأضحت مكاناً لعمل الكثير من المعماريين المسلمين ولمن تبقى من الجنويين. وخير شاهد على تطور العمارة قصر فخم لمنغلي غيراي في مدينة "بخشه سراي" مقره الجديد بعد نقل العاصمة إليها من مدينة "إسكي قرم".[2]

توفي منغلي غيراي عام 1515 فخلفه ابنه محمد غيراي. لم يمنع الاستقلال الذاتي لشبه جزيرة القرم من قيام خاناتها بغزوات ضد

1 Spuler, v.5, p. 138.

2 المصدر السابق ،مج 5، ص 137.

طموحات الروس في إمارة موسكو وفي حوض نهر الفولغا، ففي عام 1521 حاصر الخان "محمد غيراي" موسكو وأخضع حاكمها "فاسيلي Vasili" وأجبره على دفع جزية[1]، وفي نفس العام وقّع حلفاً مع لتوانيا و أرسل أخاه غير الشقيق "صاحب غيراي" إلى خانية قازان و نصبه خاناً عليها مكان خانها السابق "شاه علي" الموالي لموسكو. لم يرق هذا الوضع لخان أستراخان الموالي لموسكو، وفي عام 1523 قرر محمد غيراي غزو خانية أستراخان فاستولى عليها بعد أن أطاح بحاكمها فتوحد التتار تقريباً في عهد الخان محمد غيراي الذي اغتيل في خريف ذلك العام على يد أحد أفراد قبيلة "نوغاي".

عمت الفوضى في شبه الجزيرة بعد اغتيال محمد غيراي فاختارت الأرستقراطية هناك غازي

[1] حرب، محمد، **الإسلام في آسيا الوسطى و البلقان**، ط2، بيروت: دار البشائر، 1995، ص 90.

ابن محمد غيراي خاناً للبلاد. لم يرض هذا الاختيار الدولة العثمانية فعزلت غازي ووضعت مكانه "سعادت غيراي" عام 1524. [1] تابع سعادت غيراي سياسة المواجهة مع موسكو كما حافظ على التعاون مع "صاحب غيراي حاكم خانية قازان. وفي عامي 1525 و 1527 شارك سعادت غيراي مع صفا غيراي خان قازان آنذاك في حملات ضد موسكو. إلا أن تلك الحملات أخفقت بسبب تفوق المدفعية الروسية مما أدى إلى قيام ثورة ضده و إجباره على التنازل عن العرش في ربيع عام 1532. تجاه هذا الفراغ في سدة الحكم قرر السلطان العثماني "سليمان القانوني" إعادة العرش إلى حليفه "صاحب غيراي". لكن تتار القرم قاوموا هذا القرار واختاروا "إسلام غيراي الأول" كحاكمٍ عليهم. لم يستسلم صاحب

[1] "The Tatar Khanate of Crimea", **http://www.allempires.com/article/index.php?q=The_Crimean_Khanate,** 23/8/2006.

غيراي لهذا الاختيار وتابع كفاحه للاستيلاء على العرش، فتحقق له مراده بمساندة من قبيلة "نوغاي" وأجبر إسلام غيراي على التخلي عن العرش في أيلول 1532 واستلام الحكم مكانه. في هذه الأثناء استغلت موسكو القلاقل في شبه جزيرة القرم فعمدت إلى القيام بخطوة استفزازية تمثلت في عزل صفا غيراي عن خانية قازان عام 1532 وتنصيب "جان علي" مكانه، فما كان من صاحب غيراي إلا أن قام بغزو قازان عام 1534 بعد أن أخضع استراخان في العام السابق. ومن أستراخان سيطر صاحب غيراي على كل حوض نهر الفولغا تقريباً بعد أن أخضع معظم مناطق القوقاز.[1] وكان صاحب غيراي قد دخل في حلفٍ عسكري مع مملكة بولندا–ليتوانيا والدولة العثمانية علم 1532 ضد موسكو. وخلال

[1] “The Tatar Khanate of Crimea”, **http://www.allempires.com/article/index.php?q=The_Crimean_Khanate**, 23/8/2006.

الحملات التي خاضها صاحب غيراي مع خلفائه في الأعوام 1533 و 1535 و 1536 تمكن تتار القرم من تدمير قسم كبير من جنوب مملكة موسكو. وفي عام 1541 شن صاحب غيراي هجوماً عنيفاً على مملكة موسكو، لكن الروس تمكنوا من صد هذا الهجوم وإفشال الحملة العسكرية، ونتيجةً لإخفاق صاحب غيراي استعادت موسكو دورها في قازان من خلال تنصيب "شاه علي" الموالي لها. لكن تدخلاً لاحقاً من تتار القرم أعاد عرش قازان إلى صفا غيراي المعادي للروس الذي بقي بعدها بالحكم حتى عام 1549.

داخلياً أدخل صاحب غيراي عدة إصلاحات في دولته، فحدد من سلطة الطبقة الأرستقراطية وقوّى نفوذ الدولة المركزية التي كانت تحت إدارته مباشرةً بالتعاون مع فرق المشاة الموجودة

في الجيش. أما على الصعيد الثقافي فقد رعى الخان تدوين أول حوليات تاريخية للتتار عُرفت باسم **تاريخ الخان صاحب غيراي**، كما انتعش في عهده الشعر وبني العديد من المساجد والحمامات، وفي المجال الإقتصادي طُوِّر مرفأ مدينة "غوزليف Gozlev"[1] ليستقل قدر الإمكان عن نفوذ الجنويين في مرفأ مدينة "كفا".[2] أثارت النزعة الاستقلالية لسياسة الخان صاحب غيراي حفيظة السلطان العثماني سليمان بالرغم من تلبية الخان لكثير من رغبات السلطان كالمشاركة معه في حروبه في مولدافيا عام 1538 وهنغاريا عام 1543 وبولندا عام 1549. وفي عام 1551 قرر السلطان التخلص من صاحب غيراي فأرسل قوة إلى القرم خلعت الخان وقتلته مع عائلته فتسلم

[1] تدعى اليوم : "فيودوسيا Feodosiya"

[2] "The Tatar Khanate of Crimea", **http://www.allempires.com/article/index.php?q=The_Crimean_Khanate**, 23/8/2006.

الخانية بعد ذلك الخان "دولت غيراي" الموالي للعثمانيين.

في هذا الوقت وبسبب النزاعات الداخلية بين تتار القرم أنفسهم والتفوق العسكري لروسيا بدأ الروس يسيطرون على بلاد التتار إمارة بعد أخرى وخاصة في مناطق حوض نهر الفولغا، ففي عام 1552 استولى القيصر إيفان الرابع الذي عرف أيضاً باسم "إيفان الرهيب" على مدينة قازان، وفي عام 1556 احتل الروس مدينة استراخان فسيطروا بذلك على كل حوض الفولغا وصولاً إلى بحر قزوين مما فتح أمامهم القوقاز و شمال فارس للاستيطان الروسي،[1] كما فقَدَ تتار القرم أعوانهم من التتار الذين يمكن أن ينصروهم في الأوقات العصيبة. حينئذٍ شعر العثمانيون بخطورة الموقف، غير أن هذا الشعور جاء

[1] Spuler, v.5, p. 138.

متأخراً فبدأ يضعف أمر الدولة العثمانية ولم يعد بإمكانها القتال على عدة جبهات في آن واحد بينما اشتد ساعد الروس ولم يعد من السهل مقاومتهم. وفي محاولة لاستغلال النزاع بين العثمانيين والصفويين حكام فارس عزم "إيفان الرهيب" على تأسيس حلف عسكري مع شاه إيران "طهماسب الأول" ضد الدولة العثمانية وذلك لمحاربتها وأخذ منطقة القوقاز منها والوصول إلى المياه الدافئة بما فيها شواطئ شبه جزيرة القرم. وفي هذا السياق أرسل القيصر عام 1569 مبعوثاً له إلى مدينة قزوين عاصمة الصفويين وبحوزته هدية للشاه مؤلفة من 30 مدفعاً و 4000 بندقية، وقد رافق هذا المبعوث 500 عسكري روسي لتدريب وإرشاد الصفويين على استعمال هذه الأسلحة.[1] سُرّ الشاه طهماسب كثيراً بالمبعوث

[1] Savory, Roger, **Iran under the Safavids**, Cambridge: Cambridge University Press, 1980, p. 112.

وبالهدية وعرض مساعدة القيصر بكل ما لديه من قوة. تجاه هذه السطوة الروسية سعى تتار القرم للتحالف مع مملكة بولندا-لتوانيا وزادوا من تعاونهم مع السلطان العثماني تارةً في طلب الحماية منه وطوراً في إرسال حملات عسكرية مشتركة معه ضد أعدائه في أوروبا الوسطى و فارس.

وعلى اثر هزيمة السلطان العثماني في معركة لبانتو Lepanto[1] البحرية عام 1571 تحرر خان تتار القرم "دولت غيراي" من قدر كبير من الوصاية العثمانية، فشن غارات عنيفة على موسكو وأجبر قيصرها على دفع إتاوة انتقاما للأعمال الوحشية التي قام بها الروس ضد مسلمي قازان و أستراخان، وظل الروس يدفعون الإتاوة

[1] جرت هذه المعركة البحرية في خليج "باتراس" على بعد 50 كلم من مدينة لبانتو التي تدعى اليوم "نافباكوس Navpaktos" في وسط اليونان، و قد دارت رحاها بين الأسطول العثماني من جهة و تحالف دول المسيحية من جهة ثانية ضم الدولة البابوية – إسبانيا – البندقية- جنوا- دوقية سافوي - مالطا.

حتى عهد بطرس الأكبر (1682 -1725).[1]
لكن هاتين المدينتين ظلتا في أيدي روسيا مما دفع خانية القرم إلى تعزيز حلفها مع الحكومات الكاثوليكية في بولندا و لتوانيا ضد روسيا الأرثوذكسية. إلا أن النجاح لم يحالف هذه الخانية في مسعاها بسبب التزاماتها العسكرية مع العثمانيين في حربهم ضد الفرس.

توفي دولت غيراي عام 1577 فخلفه ابنه محمد غيراي الثاني بالرغم من معارضة الدولة العثمانية.[2] وفي العام التالي شن الخان الجديد حرباً شعواء ضد الصفويين الفرس رغم انشغالهم بصراع عسكري مع العثمانيين. إلا أن طموحات الخان محمد غيراي الثاني كانت أكبر من أن يكون تابعاً للسلطان العثماني فانتهز هذا الخان فرصة انشغال العثمانيين بحروبهم ضد النمسا و

[1] Spuler, v.5, p. 138.
[2] "The Tatar Khanate of Crimea", **http://www.allempires.com/article/index.php?q=The_Crimean_Khanate**, 23/8/2006.

فارس لينتهج سياسة مستقلة عن استانبول، فعزز علاقته مع بولندا وفي عام 1583 رفض إرسال مدد للعثمانيين لمحاربة الصفويين وهاجم الحامية العثمانية في مدينة "كفا" مما جعله في مواجهة مع السلطان العثماني.[1] ونتيجةً لذلك نزل الجيش العثماني على شواطئ شبه الجزيرة وخلع الخان محمد غيراي الثاني ونصب العثمانيون مكانة الخان اسلام غيراي الثاني.وفي عهد الخان إسلام غيراي الثاني (1584-1588) قويت السيطرة العثمانية على شبه جزيرة القرم[2] وأصبح اسم خانات تتار القرم يُذكر في خطب صلاة الجمعة بعد اسم السلطان العثماني وبات معهم هامشاً من الاستقلال الذاتي يمكنهم من بضرب نقودهم الخاصة ومنح أي شخصٍ من خارج شبه الجزيرة حق اللجوء إليها.[3] توفي إسلام غيراي الثاني

[1] المصدر السابق.
[2] Inalcik, Halil, "Islam Giray", **Encyclopaedia of Islam**, new edition Leiden: E.J. Brill, 1978, v.4, p. 178.
[3] Spuler, v.5, p. 137.

عام 1588 فعين السلطان العثماني "مراد الثالث" خاناً جديداً هو "غازي غيراي الثاني" الذي عُرف باسم "بورا" أي العاصفة. وكان هذا الخان قبل تعيينه القائد العام لقوات القرم المساندة للعثمانيين في حربهم ضد فارس، وفي عام 1580 أسره الفرس إلا أنه تمكن من الهروب وانضم مرةً أخرى إلى العثمانيين، فأعجب به السلطان مراد الثالث وجعله خاناً على القرم.[1]وبالرغم من كون هذا الخان تابعاً للعثمانيين إلا أنه تمكن من انتهاج سياسة شبه مستقلة عنهم مما منحة ثقة واحترام الطبقة الأرستقراطية في شبه الجزيرة. [2]

وفي عام 1591 فشلت محاولة الخان غازي غيراي الثاني في مهاجمة موسكو بسبب امتلاك الروس للأسلحة النارية، وبعد عامين دارت

[1] Inalcik, Halil, "Ghazi Giray II", **Encyclopaedia of Islam**, new edition, Leiden: E.J. Brill, 1965, v.2, p. 1046.
[2] "The Tatar Khanate of Crimea", **http://www.allempires.com/article/index.php?q=The_Crimean_Khanate,** 23/8/2006.

مفاوضات بين الطرفين انتهت بتوقيع معاهدة سلام امتنع بموجبها تتار القرم عن مهاجمة موسكو مقابل تقديم الأخيرة دفعات منتظمة من الهدايا.[1] ساند الخان غازي غيراي الثاني العثمانيين في حروبهم ضد النمسا و هنغاريا و بولندا وكان خير منفذ لمصالح السلطان. وفي عام 1596 طلبه العثمانيون لمساندتهم في الحملة ضد هنغاريا لكن الخان رفض هذا الطلب فعمد العثمانيون إلى عزله وتنصيب "فتح غيراي" مكانه، إلا أن الخان تمكن من استعادة العرش بعد شهور مقابل خضوعه الكامل للسلطان، وقد تجلى هذا الموقف في العقدين الأولين للقرن السابع عشر حين اعتمد العثمانيون في أعمالهم العسكرية على تتار القرم وخاصة في الأناضول و هنغاريا و بولندا و فارس. [2] مقابل هذا الخضوع

[1] المصدر السابق.
[2] المصدر السابق.

للعثمانيين ظهرت أمور إيجابية عديدة على الصعيد الداخلي استفاد منها تتار القرم. فقد ظلت شبه الجزيرة في تلك الحقبة بمنأى عن الهجمات والغارات المعادية فعَّم الأمن والنظام وطُبقت الشريعة الإسلامية في مجالات القانون والأحوال الشخصية وجباية الضرائب، كما وُضعت تجارتي الخيل والعملات الأجنبية تحت إشراف السلطة. ومن جهةٍ أخرى تطور وضع المرأة وأصبحت تشارك أكثر في الحياة العامة والسياسية وحتى في الحملات العسكرية، كما اهتم عدد من النساء بالأدب والشعر. ومع بداية القرن السابع عشر بدأ تأثير الثقافة التركية العثمانية يتجلى في مجتمع تتار القرم وخاصة في مجال اللغة والتعليم حيث أرسل عدد كبير من الحكام أبناءهم لتلقي علومهم ودراستهم في إستانبول.[1]

[1] Spuler, v.5, p. 139

ومع انحياز القوزاق[1] إلى جانب روسيا عام 1654 أصبحت الأخيرة على تخوم أراضي تتار القرم فشكل ذلك خطراً مباشراً عليهم. إزاء هذا الوضع قام الخان إسلام غيراي (1644-1654) بالتحالف مع مملكة بولندا-لتوانيا ضد موسكو.[2] فشن الطرفان حروباً مشتركة ضد القوزاق و روسيا و السويد و ترانسلفانيا[3] و براندنبورغ[4] حيث كان كثير من الغنائم و الأنفال ترسل إلى شبه جزيرة القرم، وقد تراوح عدد جيش تتار القرم آنذاك بين 20 و 30 ألف مقاتل.[5] وقد وطّد الخان محمد غيراي الرابع (1654-1666) العلاقات مع ملك بولندا وعقد معه معاهدة تقضي

[1] القوزاق هم محاربون روس دافعوا عن حدود روسيا مقابل إعطائهم استقلال ذاتي في المناطق التي احتلوها في جنوب روسيا و أكرانيا و سيبيريا.

[2] Spuler, v.5, p. 139

[3] ترانسلفانيا Tansylvania هي إمارة كانت في ذلك الوقت تتمتع باستقلال شبه ذاتي ضمن الدولة العثمانية و تقع اليوم غرب رومانيا.

[4] براندنبورغ Brandenburg هي احدى الدول الألمانية الفدرالية التي كانت موجودة قبل انشاء الوحدة الألمانية عام 1871 و تقع اليوم غرب ألمانيا.

[5] Spuler, v.5, p. 140.

بمنح تتار القرم أي مناطق إسلامية يحتلها الطرفان من روسيا مثل قازان و أسترخان.[1]

انفرط الحلف مع مملكة بولندا-لتوانيا أولاً بسبب عزل محمد غيراي الرابع عام 1666 و ثانياً بسبب عقد هدنة بين تلك المملكة و روسيا عام 1667. ومما زاد الطين بله تحسن علاقة السلطان العثماني مع القوزاق وإجباره لعادل غيراي خليفة محمد بالتعاون معهم. وكان القوزاق في ذلك الوقت أعداء لمملكة بولندا-لتوانيا فدب الخلاف بينها و بين تتار القرم.

وفي عام 1678 تبوأ الحكم في شبه جزيرة القرم خان يدعى "مراد غيراي" فحرر نفسه من التبعية للعثمانيين كما أثار غضب رجال الدين المسلمين عندما حاول استبدال الشريعة الإسلامية بقانون دنيوي وضعة جنكيز خان، بالإضافة إلى ذلك

[1] المصدر السابق، مج5، ص 139.

امتنع الخان مراد عن دعم الجيش العثماني في حملته ضد فينا عام 1683؛ فتم خلعه و نفيه إلى بلغاريا.[1]

استغل الروس هذا الوضع المتردي وشنوا حملة عسكرية على شبه جزيرة القرم في عام 1686 ثم أعادوا الكرة في العام التالي. ومنذ ذلك الحين بدأ العد العكسي لانهيار الحكم الإسلامي في شبه جزيرة القرم وقد تعزز بعد أن ازدادت الضغوطات الروسية عليها يضاف إلى ذلك الانتصار الذي حققه التحالف الأوروبي ضد العثمانيين في حرب 1682-1699 وفَشَل الخان "غازي غيراي" الثالث (1704-1707) في تحقيق تعاون مع القوزاق و مملكة السويد. أعاد الروس الهجوم على شبه الجزيرة عامي 1737 و 1738 فعاثوا في أرضها فساداً ودمروا الكثير من معالمها الحضارية بما فيها معالم مدينة بخشي

[1] المصدر السابق، مج5، ص 140.

سراي. وفي عام 1739 تخلى العثمانيون وتتار القرم عن مدينة آزوف[1] لروسيا و بشكل نهائي.

ومع ذلك فإن شبه جزيرة القرم عرفت ازدهارا بعد تلك الفترة بان في إعادة بناء مبانٍ جديدة وفي ترميم قصر الخان في بخشة سراي بالإضافة إلى شق الأقنية والطرق المائية. أما على الصعيد الثقافي فإن أهم حدث برز في تلك الفترة كان إرسال السلطان العثماني لتتار القرم هدية مؤلفة من كتب قيمة.[2]

لم يرح الدب الروسي تتار القرم طويلاً، ففي عام 1771 هاجمت القوات الروسية شبه جزيرة القرم وانقضت على البشر والحجر وقضت على الأخضر واليابس، كما قتلت الجيوش الروسية ما يقارب 350,000 تتري قرمي.[3] حاول الخان

[1] تقع على دلتا نهر "دون" المطلة على خليج "تاغانروغ Taganrog" شمال شرق بحر آزوف.

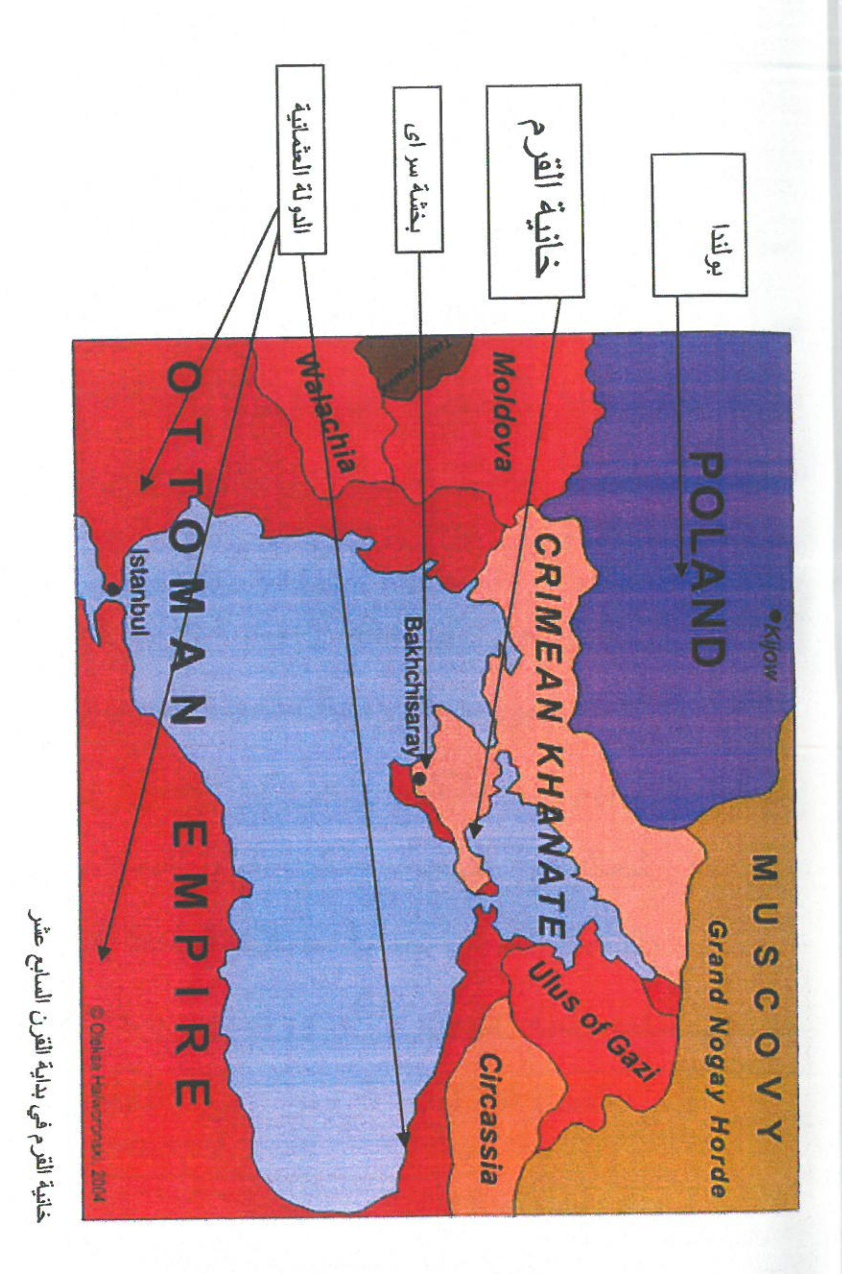
[2] المصدر السابق، مج5، ص 140-141.

[3] حرب، ص 90.

سليم غيراي الثالث وقف العدوان لكنه فشل ولم يستطع أن يتلق أي دعم من العثمانيين بسبب انشغالهم بحربٍ مع كاترين الثانية قيصرة روسيا. تقدم الروس في شبه الجزيرة ووصلوا إلى مدينة كفا فهرب الخان إلى استانبول فعين النبلاء التتار "صاحب غيراي" الثاني مكانه. وفي عام 1774 انتهت الحرب الروسية العثمانية بتوقيع معاهدة "كوتشوك قينارجه" Kutchuk Kaynarji أُلغِيَت بموجبها الحماية العثمانية على شبه جزيرة القرم التي أصبحت دولة مستقلة اسمياً ليس للسلطان عليها من نفوذ إلا سلطته الروحية بوصفه خليفة للمسلمين.[1]

في عام 1777 ساعد الروس شاهين غيراي بالوصول إلى السلطة في شبه جزيرة القرم. وكان شاهين منفتحاً على الأوروبيين ومعجباً بثقافتهم

[1] **المسلمون في الإتحاد السوفياتي**، تعريب إحسان حقي، الطبعة 8. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1988، ص 30.



خانية القرم في بداية القرن السابع عشر

فحاول تقليدهم في نواحي كثيرة ألحق بعضها الأذى بالمسلمين. فنقل العاصمة من بخشه سراي إلى مدينة "كفا" مقتدياً بالروس حين نقلوا عاصمتهم من موسكو إلى بطرسبرغ، واستدعى خبراء من الخارج لتدريب جيشه البالغ عدده 6000 عنصراً، كما أنشأ مجلساً للوزراء مؤلفاً من 12 عضواً وأصدر عملة فضية جديدة أنهكت الدولة فيما بعد بأعباء الديون. لكن أخطر ما فعله كان تدخله في الأوقاف الإسلامية وفي تعويضات رجال الدين المسلمين.[1]

[1] Spuler, v.5, p. 141.

6. فترة الاحتلال الروسي القيصري لشبه جزيرة القرم

استغل الروس في عام 1782 الخلافات الداخلية بين تتار القرم والضعف الناجم عنها واستولوا نهائياً على شبه الجزيرة من دون أي مقاومة تذكر.[1] وفي 9 نيسان من العام التالي أصدرت كاترين الثانية قيصرة روسيا مرسوماً ذا مظهر ليبرالي[2] أعلنت فيه بكل بساطة ضم شبه جزيرة القرم إلى الإمبراطورية الروسية متعهدةً للمسلمين بضمان حقوقهم في أملاكهم و حريتهم المطلقة في ممارسة شعائرهم الدينية وذكر اسم السلطان العثماني بالدعاء له في خطبة صلاة الجمعة في جميع مساجد شبه الجزيرة[3]، ووعدتهم بمعاملة على قدم المساواة مع الروس في الحقوق

---

[1] **المسلمون في الإتحاد السوفياتي**، ص 30.

[2] المصدر السابق، ص30

[3] بينينغسن، ألكسندر و شانتال لوميرييه كيلكجاي. **المسلمون المنسيون في الإتحاد السوفييتي**. ترجمة عبد القادر ضللي.بيروت: دار الفكر المعاصر،1989 ، ص 19.

والواجبات. لكن بدا بعد ذلك أن هذا الوعد لم يكن إلا تضليلاً بدليل ما فعلته الحكومة الروسية في السنوات الأولى من استيلائها على شبه الجزيرة فصادرت خيرة أراضيها ووزعتها على النبلاء الروس تنفيذاً لخطة "الترويس" (أي جعله روسياً) التي انتهجتها وسمحت بتدفق أفواج من المهاجرين الروس والسلاف واليونان والأوروبيين للعيش في شبه الجزيرة فوجد تتار القرم أنفسهم يخضعون لنظام تعسفي جائر يطردهم من أراضيهم الخصبة، فلم يروا أمامهم إلا سبيلاً وحيداً للنجاة وهو الرحيل الجماعي إلى أراضي الدولة العثمانية وخاصة بعد محاولات الحكومة الروسية تشجيع تتار القرم على الهجرة من ديارهم مما جعل تاريخهم خلال مئة عام ونيف عبارة عن سلسلة طويلة من الهجرة الجماعية تمت في أشد حالات البؤس والتعاسة هلك خلالها الآلاف المؤلفة مرضاً وجوعاً،

فانخفض عددهم في غضون قرن من 500,000 نسمة إلى أقل من 200,000 نسمة [1] أصبحوا أقلية في وطنهم أمام كتلة روسية تفوقهم ثروة وسطوة. وجدير بالذكر أنه بعد ضم شبه الجزيرة إلى روسيا هُجِّرت شعوب عديدة غير إسلامية كانت تعيش مع تتار القرم بوفاق وآمان، فتم نقل عدد كبير من اليهود والأقليات المسيحية إلى جنوب روسيا و أوكرانيا واستُبْدِلوا بفلاحين روس و أوكرانيين، [2] كما رُحل عدد كبير من الأرمن مع أساقفتهم إلى مدينة روستوف [3] الواقعة على مقربة من مصب نهر "دون Don" شرقي بحر آزوف (و هي اليوم تابعة لروسيا).

وكان من النتائج غير المباشرة لاحتلال الروس شبه جزيرة القرم أنها أصبحت مرتبطة عضوياً

---

[1] Akiner, Shirin, **Islamic peoples of the Soviet Union**, 2nd ed., London: KPI, 1986, p. 88

[2] Fisher, Alan, "Crimean Khanate", **The Oxford Encyclopedia of Modern Islamic World**. John L. Esposito, editor in chief, New York: Oxford University Press, 1995, v.1, p. 328.

[3] Spuler, v.5, p. 141.

بروسيا وبنزاعاتها وبسياستها الخارجية. ففي عام 1853 اندلعت حرب بين روسيا من جهة و الدولة العثمانية و فرنسا و بريطانيا و سردينيا من جهة كان هدفها البعيد إحباط طموحات روسيا في الدولة العثمانية و البلقان. وفي أيلول من عام 1854 قامت القوات البريطانية والفرنسية بعملية إنزال على شواطئ شبه جزيرة القرم وضربت حصاراً حول مدينة سفاستوبول دام عاماً استطاعت بعدها القوات الفرنسية من شن هجوم ناجح استسلمت بعده المدينة. وفي عام 1856 انتهت الحرب بتوقيع معاهدة سلام في باريس، وقد دعيت هذه الحرب بحرب القرم.

عمدت الحكومة الروسية بعد حرب القرم إلى طرد أعداد كبيرة من تتار القرم بحجة انحيازهم إلى الأعداء، وقد استعملت القوة أحياناً لتطبيق هذه الخطة، فهاجر العديد منهم إلى إستانبول وإلى

دبروجه[1] على الساحل الشمالي لبلغاريا تاركين أوطانهم وأملاكهم لمن يعبث بها و يغيّر معالمها. حافظت الطبقة الأرستقراطية الإقطاعية في شبه جزيرة القرم بعد الاحتلال الروسي على جميع حقوقها و امتيازاتها وانخرطت في المجتمع الروسي لتأخذ مكاناً في نظامه الطبقي من غير أن تُكْره على اعتناق المسيحية مما جعلها مخلصة لعائلة رومانوف الحاكمة و لروسيا نفسها حتى اندلاع الثورة الروسية عام 1917. كما حافظ رجال الدين المسلمون على سلطتهم وقوتهم وثروتهم وباتوا هم أيضاً مؤدين لعائلة رومانوف ومناهضين لكل إصلاح قد يبدد امتيازاتهم.[2]

ومع نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وجد مسلمو روسيا أنفسهم أمام تحديات كبيرة نتجت عن التحول الهائل الذي حصل في المجتمعات

[1] Paskoy, p. 3.

[2] بينينغسن و كيلكجاي، ص 20

الغربية مقابل الجمود الفكري في كافة العالم الإسلامي وازدياد القبضة الروسية عليهم. فانصب جهدهم الرئيسي على محاربة الدغماتية (أي التسليم بلا تمحيص) وتجنب أي إعاقة للتقدم وانتشار المعارف والقضاء على الطاعة العمياء للسلطات التقليدية، وكانوا من أوائل المفكرين المسلمين المعاصرين الذين أعلنوا أن لكل مؤمن الحق في أن يبحث في القرآن الكريم والحديث الشريف ليجد الرد على الأسئلة السياسية والاجتماعية كافة. أثارت هذه المواقف مجادلات عنيفة أدت إلى انشقاق عميق في المجتمع الإسلامي، انشقاق كان أصلاً من نوع روحي فقط لكنه سرعان ما أصبح سياسياً شق المسلمين إلى معسكرين متعاديين هما: معسكر الجناح الليبرالي التجديدي الذي عرف فيما بعد بالمجددين ويضم أنصار الإصلاحات الذين انضمت إليهم فيما بعد تكتلات سياسية متعددة تقدمية أو ثورية،

وجناح خصوم الإصلاحات الذين تمثل كفاحهم في المنظمات المحافظة.[1]تأثرت أفكار المجددين بالليبرالية الغربية وبفكرة "الطورانية" التي دعت إليها جمعية تركيا الفتاة في الدولة العثمانية، وكان من أكثر المتحمسين والمؤيدين لهذه الأفكار التتري القرمي إسماعيل غاسبيرالي Ismail Gaspirali الذي عرف باللغة الروسية باسم: غاسبرنسكي Gasprinski. ولد غاسبيرالي عام 1851 في إحدى قرى شبه جزيرة القرم و تعلم في أحد المدارس المحلية التي كانت تدعى "مكتب"، ثم خدم في الجيش الروسي و سافر بعدها إلى الخارج فزار فرنسا و الدولة العثمانية. لدى عودته إلى شبه جزيرة القرم عمل في حقل التعليم و تبوأ بين عامي 1878 و 1882 منصب عمدة مدينة "بخشه سراي" التي أصدر فيها صحيفة "ترجمان Perevodchik/Turjuman"

[1] المصدر السابق، ص: 28

عام 1883[1] وكانت "ترجمان" إحدى أكبر الصحف الإسلامية في تلك الفترة.[2] وبالإضافة إلى الصحافة طرق غاسبيرالي باب الإصلاح التعليمي والتربوي، فوضع منهجاً جديداً للتعليم عُرف باسم "أصول الجديد" قلب من خلاله النظام التعليمي القديم للمسلمين رأساً على عقب في شبه جزيرة القرم أولاً ثم في كل روسيا لاحقاً.[3] وإلى جانب "ترجمان" نشر غاسبيرالي عدة مؤلفات دورية منها "عالم النسوان" و "عالم الصبيان" و "النهضة".[4]

اندلعت الحرب الروسية اليابانية عام 1904 وهُزم الروس على يد هذه الدولة الآسيوية فكانت صدمة فادحة لهم حيث نُظر إلى إمبراطوريتهم على أنها ضعيفة ويمكن قهرها، فانبثق الأمل بتحرر

[1]Lazzerini, Edward J. "Gasprinskii, Ismail Bey". **The Oxford Encyclopedia of the Modern Islamic World**. John L. Esposito, editor in chief. New York: Oxford University Press, 1995. v. 2, pp. 52-53.

[2] بينينغسن و كيلكجاي، ص30

[3] المصدر السابق ص 30

[4] Lazzerini, p. 53.

الشعوب الخاضعة لروسيا بما فيهم المسلمون، فعُقدت المؤتمرات الإسلامية وتم تأسيس حزب إسلامي سنة 1905 عرف باسم "حزب الإتحاد الإسلامي" ضم جميع مسلمي روسيا بما فيهم تتار القرم. لكن تخاذل الليبراليين الروس في التعاون مع الحزب أحبط جميع مطالبه التي تقدم بها ممثلوه في مجلس الدوما (المجلس النيابي في العهد القيصري)، فانحل الحزب عام 1908 وهاجر العديد من زعمائه إلى الدولة العثمانية.[1] إندلعت الحرب العالمية الأولى في عام 1914 ودخلتها روسيا إلى جانب الحلفاء ضد ألمانيا والإمبراطورية النمساوية-المجرية والدولة العثمانية و بلغاريا. لم تكن مجريات الحرب لصالح الروس الذين عانوا من هزائم وخاصة على الجبهة الألمانية النمساوية، فبدأ التململ بين صفوف الشعب والجيش. وفي تشرين الأول من

[1] بينينغسن و كيلكجاي، ص 32

عام 1917 قامت الثورة الشيوعية بالبلاد وألغيت الملكية، تلتها حرب أهلية بين مؤيدي الشيوعية ومعارضيها. وقد عُرِف الشيوعيون بالبولشفيك أو الجيش الأحمر والمعارضون بالروس البيض.وفي تموز 1917 اجتمعت جماعات سياسية من تتار القرم في شبه الجزيرة وأسست حزباً سياسياً تحت اسم"ملي فرقة"Milli Firka أو الحزب الوطني بالعربية، وكان مؤسسوه من الشبان المثقفين الذين تلقى أكثرهم علومهم في الدولة العثمانية أو في أوروبا الغربية أمثال "حسن صبري عيواظ" و"أحمد أوزون باشلي" و"علي بودانسكي" و"ولي إبراهيموف". وكانوا كلهم من المثقفين والتقدميين ذوي الميول الاشتراكية والداعين إلى الوحدة مع الدولة العثمانية، كما كان بعضهم مؤيد للبولشفيك مثل بودانسكي و إبراهيموف. وعلى الرغم من أن جماعة حزب "ملي فرقة" كانوا يكافحون في سبيل استقلال القرم الداخلي فانهم قد أضافوا على

برنامجهم السياسي نقاطاً كثيرة مستوحاة مباشرة من الاشتراكية مثل تأميم الوقف والملكيات الكبيرة الخاصة و الكفاح و التعاون مع الاشتراكيين،[1] و قد شكل أعضاء هذا الحزب حوالي ربع سكان شبه الجزيرة.[2] وكان تتار القرم قد عقدوا في 23 آذار 1917 مؤتمراً وطنياً في مدينة سمفربول انتخبوا خلاله لجنة تنفيذية مسلمة كانت نواة الحكومة الوطنية التي رأت النور في شهر تشرين الثاني من نفس العام[3] ضمت أعضاء من "ملي فرقة"،[4] وقد اعترفت بهذه الحكومة كل من الدولة العثمانية و ألمانيا.[5] وفي ربيع عام 1918 اتصل بعض الأفراد من حزب "ميلي فرقة" ببعض القادة الألمان المتواجدين في شبه الجزيرة كما ناشدوا القيصر الألماني بتأمين الحياد لها.[6]

---

[1] **المسلمون في الإتحاد السوفياتي**، ص 120-121.

[2] Yemelianova, Galina, **Russia and Islam: A Historical Survey**, New York: Palgrave Macmillan, 2002, p. 107.

[3] **المسلمون في الإتحاد السوفياتي**، ص 120.

[4] Yemelianova, p. 107.

[5] Akiner, p. 88

[6] Yemelianova, p. 107.

7. السيطرة الشيوعية على شبه جزيرة القرم

بعد إحكام الشيوعيين قبضتهم على السلطة في روسيا هاجمت وحدات من بحرية البحر الأسود التابعة للبولشفيك ميناء سفاستوبول ومدينة سمفروبول في كانون الثاني عام 1918 واستولت عليها وقضت على الحكومة التترية. لم يرض الألمان عن هذا الوضع فأرسلوا قواتهم إلى شبه الجزيرة واحتلوها في شهر أيار من العام نفسه،[1] وشكّلوا حكومة تترية كان أعضاؤها من جماعة "ملي فرقة" المناهضة للشيوعية.

[1] Paskoy, p. 4

7.1 انقضاض الشيوعية على شبه جزيرة القرم

انسحب الألمان من شبه جزيرة القرم عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى عام 1918، فطلب حزب "ملي فرقة" الحماية من البريطانيين و الفرنسيين واتصل بالروس البيض. وكان لهذا الاتصال وقع سيئ على نضال الشعب التتري القرمي إذ نتج عنه انشقاق حزب "ملي فرقة" إلى أجنحة متناحرة فتعاون بعض أفراده مع البولشفيك ونظموا المكتب الإسلامي التابع للحزب البولشفي في القرم برئاسة ولي إبرهيموف.[1] وفي شهر نيسان عام 1919 احتل الروس الشيوعيون شبه جزيرة القرم وأسسوا فيها "مكتب مسلمي القرم" الذي كان بمثابة حكومة شكلية هدفها إدارة أمور الشعب التتري. لكن المكتب رفض كل العروض التي قدمها حزب "ملي فرقة" للتعاون في المشاركة بالحكم.[2]

[1] Yemelianova, p. 107.
[2] Paskoy, p. 4

بعد شهر من الغزو الشيوعي هاجم الروس البيض شبه الجزيرة وانتزعوها من البولشفيك وأعادوا الكثير من الأوضاع إلى ما كانت سارية عليه أيام العهد القيصري كما حظروا نشاط حزب ملي فرقة، فما كان من الأخير إلا أن تحالف مع البولشفيك لطرد البيض.[1] وفي تشرين الأول من عام 1920 احتل البولشفيك شبه جزيرة القرم نهائياً وقد ساندهم في ذلك حزب "ملي فرقة" الذي عاد للظهور ثانيةً بعد اندحار البيض، وقد انضم أعضاؤه إلى الحزب الشيوعي الروسي.[2]

وجدير بالإشارة إلى أن الحكومة البلشفية كانت قد نقلت العاصمة إلى موسكو وغيرت اسم البلاد إلى "الاتحاد السوفياتي" الذي تألف من جمهوريات سوفياتية مستقلة ذاتيا ومنها جمهورية القرم

1 المصدر السابق، ص 4

2 بينينغسن و كيلكجاي، ص 42.

السوفياتية الاشتراكية المستقلة ذاتياً تم تأسيسها في تشرين الثاني 1921 شكّل التتار 25% فقط من سكانها. ويعتبر هذا الحدث من أهم المفاصل التاريخية لشبه الجزيرة إذ أحكم الشيوعيون سيطرتهم عليها و سعوا إلى نشر أفكارهم فيها، فهرب الكثير من زعماء تتار القرم إلى الخارج و خاصة إلى تركيا.

7.2 شبه جزيرة القرم خلال العهد السوفياتي

استطاع "ولي إبراهيموف" الذي كان رئيساً للجنة المركزية للحزب الشيوعي ولمجلس الوزراء في شبه الجزيرة أن يواصل جهود الحكومة التترية التي تأسست قبل اندلاع الثورة الشيوعية. فألف حكومات معظم أعضاؤها من حزب "ملي فرقة" وأعاد فتح المدارس والصحف التترية، كما أصبحت اللغة التترية اللغة الرسمية إلى جانب الروسية.

وفي نهاية العشرينيات شن الشيوعيون عملية تطهير في شبه جزيرة القرم ضد أعضاء "ملي فرقة" القدامى فألقي القبض على ولي إبراهيموف وأُعدِم عام 1929 بتهمة التجسس والقيام بأعمال مضادة للثورة. وعقب إعدامه امتدت حملة التطهير لتشمل المفكرين التتار فهلك فيها عدد كبير ممن انضموا إلى النظام السوفياتي أمثال حسن صبري عيواظ، كما استُبدِلت القيادات التترية في المدارس والجامعات والصحف بأخرى شيوعية من روسيا و أوكرانيا وفرضت الأبجدية الروسية على اللغة التترية بعد أن كانت تُكتب بالأبجدية العربية واللاتينية وأُدخلت كلمات روسية على اللغة التترية وحذفت أُخرى تركية. طالت حملات التطهير رجال الدين المسلمين أيضاً، فنُعِتوا بالطفيليين والرجعيين والمعادين للثورة ونُفِيَ عدد كبير منهم إلى سيبريا و آسيا

الوسطى. وفي خطوة لنشر وتشجيع الإلحاد عمد الشيوعيون إلى إغلاق عدد كبير جداً من المساجد والمدارس الدينية وأحرقوا المصاحف وأنشأوا أحزاب وروابط إلحادية هدفها إبعاد تتار القرم عن الله وعن الدين. وقد ساعدت الحكومة المركزية في موسكو هذه الأحزاب حتى بلغ عدد المنضويين تحتها عام 1932 حوالي 42000 شخص بعد أن كان 30000 شخص عام 1931.[1] وفي خطٍ موازٍ لحملات التطهير اتجه الشيوعيون عام 1928 إلى جعل شبه جزيرة القرم موطناً ليهود روسيا، ولما احتجت حكومة القرم أُعدم رئيس جمهوريتها وأعضاء حكومته ونفي أربعون ألف مسلم إلى مجاهل سيبيريا.[2] ولم تسلم حتى المزروعات والمواشي في شبه جزيرة القرم من طغيان الشيوعيين. ففي

---

1 Paskoy, p. 5.

2 المصري، جميل عبد الله محمد، **حاضر العالم الإسلامي و قضاياه المعاصرة**، الطبعة الثامنة معدلة و منقحة و مزيدة، الرياض، مكتبة العبيكان، 2002، ص 505.

الثلاثينيات أتلف السوفيات مساحات واسعة من الأراضي المزروعة بساتين فواكه و قضوا على أعداد كبيرة من المواشي بحجة إنشاء تعاونيات زراعية مما أدى إلى وقوع مجاعة امتدت من عام 1932 حتى عام 1933.[1]

7.3 شبه جزيرة القرم خلال الحرب العالمية الثانية

شهد عام 1939 اندلاع الحرب العالمية الثانية، وكانت ألمانيا النازية و إيطاليا الفاشية و اليابان ضد فرنسا و بريطانيا و بولندا. أما الاتحاد السوفياتي فقد تحالف مع النازيين لتقاسم أوروبا الشرقية. لم يدم هذا التحالف طويلاً لأسبابٍ كثيرة أقلها العقائدية، وفي عام 1941 هاجمت ألمانيا الاتحاد السوفياتي و اندلعت الحرب بينها.

[1] Pohl, J Otto. *Ethnic Cleansing in the USSR, 1937-1949.* Westport, CT: Greenwood Press, 1999. 6/2/2001, **www. euronet.nl/users/sota/pohlethnic.html**, p. 2

احتل الألمان شبه جزيرة القرم عام 1941 و انقسم التتار هناك بين مؤيدٍ و معادٍ لألمانيا النازية. لكن دكتاتور الاتحاد السوفياتي "ستالين" لم ير إلا المتعاونين مع النازيين فقرر الانتقام منهم ومن كل شبه الجزيرة بعد أن استعادها جيشه عام 1944. فقد أصدر ستالين في 11 أيار 1944 بياناً اتهم فيه تتار القرم بالعمالة والخيانة لذلك فهم يستحقون حسب رأيه العقاب الجماعي ألا وهو نفيهم وإبعادهم إلى آسيا الوسطى وتوطينهم هناك في أماكن خاصة لهم.

7.4 النفي و الإبعاد

بدأت عملية الإبعاد في 18 أيار، فسُمح لكل عائلة بأخذ 500 كلغ فقط من الممتلكات المنقولة، أما الممتلكات غير المنقولة فقد صادرتها الحكومة

السوفياتية.[1] وكانت المأساة الكبرى في عملية الإبعاد حيث هلك الآلاف في القطارات خلال نقلهم بسبب الأمراض والبرد والجوع، وبلغ مجموع ما لقي حتفه خلال خمسة أعوام من عملية النفي حوالي 42000 تتري قرمي.[2] هذا بالإضافة للذين ماتوا خلال وصولهم إلى المستوطنات في صحارى أوزبكستان نتيجةً للأحوال الصحية الرديئة وقلة المياه العذبة و تفشي الأمراض. وعند وفاة ستالين عام 1953 بلغ مجموع ما أُبعد ووصل سالماً إلى آسيا الوسطى من تتار القرم حوالي 165259 شخص[3] من أصل ما يقارب 238000 تتري هجروا من شبه الجزيرة.[4] وفي تشرين الثاني من عام 1945 ألغيت رسمياً جمهورية القرم السوفياتية وأصبحت مجرد منطقة تابعة

[1] Pohl, p. 6

[2] المصدر السابق، ص 6.

[3] Pohl, *Ethnic Cleansing in the USSR, 1937-1949* p. 7

[4] بينينغسن و كيلكجاي، ص 142.

للجمهوريات الاشتراكية الفيدرالية السوفياتية المتحدة. وفي شباط 1954 ألحقت شبه جزيرة القرم بجمهورية أوكرانيا الاشتراكية السوفياتية.
جلب وفاة ستالين بعض الليبرالية الخفيفة للحكم السوفياتي وقد تسامح النظام الجديد مع تتار القرم المنفيين في آسيا الوسطى لكنه استمر في اعتبارهم خونة حتى عام 1967 لكن لم يسمح لهم بالعودة إلى وطنهم في شبه الجزيرة.
وفي عام 1985 أُنتخِب "مياخائيل غورباشِف Mikhail Gorbachev" رئيساً للإتحاد السوفياتي فعمد عند تبوئه الرئاسة إلى إطلاق برنامجه الإصلاحي في البلاد الرامي إلى الانفتاح أو "غلاسنوست Glasnost" والاعمار والتنمية الاقتصادية أو "بِرِسترويكا Perestroika"، فكان من نتيجة هذه الإصلاحات التي قام بها "غورباتشف" أن تحركت الجهود الرامية إلى عودة تتار القرم إلى ديارهم. وبالفعل فقد عاد في

أواخر الثمانيات وأوائل التسعينيات ما يعادل 300000 تتري[1] وقد فاق هذا العدد تتار القرم المقيمين في شبه الجزيرة. وفي 20 كانون الثاني من عام 1991 جرى استفتاء شعبي في القرم صوت من خلاله 93% من سكان شبه الجزيرة على منحها استقلالاً ذاتياً ضمن جمهورية أوكرانيا السوفياتية. وافقت الأخيرة على هذا المطلب بعد استثناء مدينة سفاستوبول من هذا الاتفاق.

7.5 فترة ما بعد سقوط الشيوعية و سيطرة أوكرانيا على القرم

في 19 آب عام 1991 قام بعض الشيوعيون المحافظون بمحاولة انقلاب في موسكو لقلب نظام "غورباتشف"، إلا أن المحاولة فشلت فكان من

[1] Pohl, Otto J.*The Stalinist Penal System: A statistical History of Soviet Repression and Terror.* Jefferson, North Carolina: McFarland & Company, 1997. 6/2/2001.**www.euronet.nl/users/sota.statshist.html**. p. 7.

نتيجتها مطالبة كل الجمهوريات السوفياتية بالانفصال عن الإتحاد السوفياتي. أيد البرلمان الأوكراني هذا الانفصال في 24 آب من نفس العام وبعد ستة أيام منع الحزب الشيوعي الأوكراني من مزاولة نشاطه. وفي الأول من كانون الأول عام 1991 جرى استفتاء شعبي على الاستقلال أيده 90.3% من المقترعين[1]، وفي الثامن من ذلك الشهر تم حل الاتحاد السوفياتي وتم تشكيل اتحاد الدول المستقلة[2] بدلاً عنه، ومنذ ذلك الوقت أصبحت أوكرانيا دولة مستقلة ذات سيادة منفصلة عن موسكو. وهكذا استمرت شبه جزيرة القرم جزءاً من أوكرانيا بعد سقوط الاتحاد السوفياتي.وفي شباط عام 1992 صوت المجلس الأعلى للقرم (وهو مثابة البرلمان المحلي) على

[1] **Eastern Europe, Russia and Central Asia, 2006**, p. 527.

[2] هو منظمة دولية اورو اسياوية مكونة من 12 جمهورية سوفياتية سابقة و مقرها في مينسك بروسيا البيضاء، و هذه الجمهوريات هي: أذربيجان | أرمينيا | أوزباكستان | أوكرانيا | تركمانستان | جورجيا | روسيا | روسيا البيضاء | طاجيكستان | قرغيزستان | كازاخستان | مولدافيا.

تحويل شبه الجزيرة إلى "جمهورية" ضمن دولة أوكرانيا، فردت السلطات الأوكرانية بعرضٍ يقضي بإعطاء المزيد من الاستقلال الذاتي لشبه الجزيرة، لكن المجلس أصر في 5 أيار على إعلان الاستقلال الكامل عن كييف، إلا أن برلمان أوكرانيا رفض هذا الإعلان. وفي حزيران من ذلك العام أعطت السلطات الأوكرانية شبه جزيرة القرم حكماً ذاتياً، وقد تعزز هذا الحكم في مطلع عام 1999 حيث اصبح بامكان شبه الجزيرة وضع مسودة لميزانيتها وإدارة ممتلكاتها.[1]

والآن ينبعث الأمل باستقرار أوضاع تتار القرم وإعطائهم فرصة ليلعبوا دورهم كأحد قاطني الثغور الإسلامية. ويجب أن لا ننسى أن نتعظ من دروس التاريخ ونمعن في الاتحاد والتعاضد مع بعضنا وأن نتكل على الله سبحانه وتعالى وعلى جهودنا المخلصة لحل مشاكلنا، فهل من متعظ؟

[1] **Eastern Europe, Russia and Central Asia, 2008**, p.575.

المراجع

باللغة العربية:

1- المطبوعة:

ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد. **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**. القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، 1938.

بينينغسن، ألكسندر و شانتال لوميريه كيلكجاي. **المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفييتي**. ترجمة عبد القادر ضللي. بيروت: دار الفكر المعاصر، 1989.

حرب، محمد. **الإسلام في آسيا الوسطى و البلقان**. ط2. بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1995.

خان، ظفر الاسلام. **المسلمون في بولندا**. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1997.

شاكر، محمود. **التاريخ الإسلامي: التاريخ المعاصر 21: المسلمون في الأمبراطورية الروسية**. ط2. بيروت: المكتب الإسلامي، 1994.

شاكر، محمود. **المسلمون تحت السيطرة الشيوعية**. الطبعة الثانية. بيروت: المكتب الإسلامي، 1979.

عطية الله، أحمد. **القاموس الإسلامي**. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية،1963

المسلمون في الاتحاد السوفياتي . تعريب إحسان حقي. الطبعة الثانية. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1988.

المصري، جميل عبد الله محمد. **حاضر العالم الإسلامي و قضاياه المعاصرة.** الطبعة الثامنة معدلة و منقحة و مزيدة. الرياض: مكتبة العبيكان، 2002.

2- الإلكترونية:

اتحاد المنظمات الاجتماعية في أوكرانيا (الرائد). " دراسات: مسلمي القرم". . http://www.arraid.org/index.php?r=9&s=3&lang=ar .2006/6/23

محمود، شفيق جاسر أحمد. "محاولات التحالف بين المغول و الصليبيين ضد المسلمين في القرنين السابع و الثامن الهجريين و آثارها". 6/2/2001 .http://www.iu.edu.sa/Magazine/75-76/3.doc

In English:

1- Print:

Akiner, Shirin. **Islamic Peoples of the Soviet Union**. 2nd ed. London: KPI, 1986.

Allworth, E. A. (Ed). **The Tatars of Crimea: Return to homeland**. Second edition, revised and expanded. Durham, North Carolina: Duke University Press, 1998.

Barthold, W. "Tatar". **The encyclopaedia of Islam : a dictionary of the geography, ethnography and biography of the Muhammadan peoples**. Ed by M.Th. Houtsma ... [et al.]. Leiden, The Netherlands : E.J. Brill, 1927-1934.

Eastern Europe, Russia and Central Asia, 2008. 8th ed. London: Routlage, 2007.

Europa World Yearbook 2005. 46thed. London: Europa Publications, 2005.

Fisher, Alan. "Crimean Khanate". **The Oxford Encyclopedia of the Modern Islamic World.** John L. Esposito, editor in cheif. New York: Oxford University Press, 1995.

Inalcik, Halil. "Ghazi Giray II", **Encyclopaedia of Islam**. New edition. Leiden: E.J. Brill, 1965, v.2, p. 1046-1047.

Inalcik, Halil. "Giray". **Encyclopaedia of Islam**. New edition. Leiden: E. J. Brill, 1965, v.2, p. 1112-1114.

Inalcik, Halil. "Islam Giray", **Encyclopaedia of Islam**. New edition. Leiden: E.J. Brill, 1978, v.4, p. 178-179.

Kellner-Heinkele, B. "Mengli Giray I". **Encyclopaedia of Islam**. New edition Leiden: E.J. Brill, 1991, v.6, p. 1016.

Lazzerini, Edward J. "Gasprinskii, Ismail Bey". **The Oxford Encyclopedia of the Modern Islamic World.** John L. Esposito, editor in cheif. New York: Oxford University Press, 1995.

Naimark, Norman M. **Fires of hatred: Ethnic cleansing in twentieth-century Europe**. Cambridge, Mass.: Harvard University Press, c2001.

Savory, Roger. **Iran under the Safavids**. Cambridge: Cambridge University Press, 1980.

Spuler, B. "Kirim". **Encyclopedia of Islam**. Leiden: E. J. Brill, 1986.

The Tatars of Crimea : Return to the homeland : studies and documents. Edited by Edward Allworth. Durham, N.C.: Duke University Press, 1998.

Wren, Melvin C. **The Course of Russian History**. New York: The MacMillan Company, 1958.

Yemelianova, Galina. **Russia and Islam: A Historical Survey**. New York: Palgrave Macmillan, 2002.

2- Electronic:

"All Ukrainian Population Census 2001". www.ukrcensus.gov.ua/eng/results/general/nationality/. 2/2/2007

"Golden Horde, Empire of the". **The Columbia Encyclopedia**, Sixth Edition, 2001-05. http://www.bartelby.net/65/go/GoldenHE.html. 26/6/2006.

International Committee for Crimea. "Crimean Tatars and the Ukrainian state". http:// www.iccrimea.org/scholarly/oshevel.html. 24/5/2006.

Paskoy, H. B. "Crimean Tatars". www.euronet.nl/users/sota/paskoy.14html. 6/2/2001.

Pohl, J. Otto. **Ethnic Cleansing in the USSR, 1937-1949.** Westport, CT: Greenwood Press, 1999. www.euronet.nl/users/sota/pohlethnic.html. 6/2/2001.

Pohl, J. Otto. **The Stalinist Penal System: A Statistical History of Soviet Repression and Terror, 1930-1953.** Jefferson, North Carolina: McFarland and Company, 1997. www.euronet.nl/users/sota/statshsit.html. 6/2/2001.

"Russo-Crimean Wars". http://en.wikipedia.org/wiki/Russo-Crimean_Wars. 3/8/2006.

SOTA. "The Crimea". www.euronet.nl/users/sota/krimgeo.html. 6/2/2001.

"The Tatar Khanate of Crimea".
http://www.allempires.com/article/index.php?q=The_Crimean_Khanate
23/8/2006.

"Tatars". HighBean Encyclopedia.
http://www.encylopedia.com/html/t/tatars.asp. 13/7/2006.

"Ukraine". http://www.citypopulation.de/Ukraine.html#Stadt_gross.
23/6/2006.

"UkrTravel". http://www.ukrtravel.com/bakhchisaray/main.htm.
23/6/2005.

المحتويات